بقلم الدكتور عبدالله عزام

د. عبدالله عزام

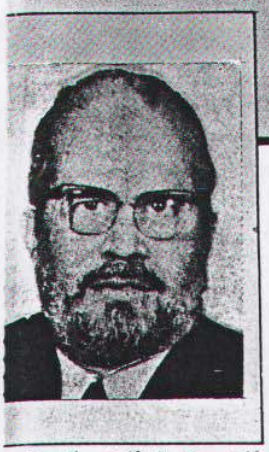

الشهيد كمال الدين السنانيري

من المؤمنين رجال...
ذكريات من ساحة الجهاد

جامعة الملك سعود
King Saud University

فان كل من مرّ بالساحة الافغانية يدرك حاجتها الى الرجال وهل من ضرورة أشد من ضرورة الرجال؟ وهل من حاجة أشد من الحاجة الى أولئك الذين يحملون الاثقال وتقوم على أكتافهم الامجاد ولكن بصمت دون دوي أو ضجيج ودون أن تشعر بوجودهم أو تتلفت أنظارك نحوهم، هؤلاء هم الذين تقوم الامم على كواهلهم، لايضجرون من ثقل الحمل ولكنهم يدعون الله دائما شدّة المنكبين. وكلما اشتدت الحاجة الى هذا النفر تتذكر الاقوال المأثورة في الرجال.. ففي محكم التنزيل ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾. وتتذكر قول النبي (تجدون الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة). وقوله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدّث عن الجهاد ثم يشير بيده الكريمة (وأين المجاهدون في سبيل الله...) وتتذكر قول أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه وهو يقول للصحابة حوله تمنوا فتمنّى بعضهم المال حتى ينفقه وتمنّى بعضهم التوفيق في العبادة والاعتمار وغير ذلك فقالوا تمن يا أمير المؤمنين فقال: (أتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة) انني أدرك الآن هذا المعنى وأنا أرى التخلّي عن حمل المسؤولية ونؤي الناس عن اقتسام الاعباء والتكاليف. أتلفت حولي فلا أرى أحدا من أولئك الذين يعتلون المنابر ويتصدّرون الصحف ويملأون الدنيا دويا وضجيجا وهم يتكلمون عن الاسلام.

من بين الذين افتقدتهم الساحة الافغانية رجل جاء بصمت ومضى بصمت، رجل خاض ميادين القتال في فلسطين/١٩٤٨/ واصطلى بنار المعركة في قناة السويس ضد الانجليز ثم لقي على يد الطغمة الغاشمة في أيام عبدالناصر مالقي ولكنه بقي كالجبل الاشم لايتزعزع ثم كان قتله على يد طاغية من زبانية العذاب الذين ربّاهم عبد الناصر.

ذاك الرجل هو كمال الدين السنانيري انسان ليس من أصحاب الاقلام ولا من أرباب المنابر، رجل صنعته الاحداث باذن خالقه ونضج على نار المحنة من خلف قضبان السجون وكان قد حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة من ١٩٥٤، وكانت الاخت أمينة قطب قد رفضت الخطّاب الذين تقدّموا لها من الدول العربية ثم اختارت أن تعقد عقد زواجها على كمال السنانيري رغم أنها تعلم أنه محكوم بالاشغال الشاقة المؤبدة وانتظرت عشر سنوات متواصلة ولطالما خيّرها قائلا لها أن الاوان أن نطلق وأن تتزوجي غيري

ان الحمدلله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادي له وأشهد أن لااله الاالله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم لاسهل الاماجعلته سهلا وأنت تجعل الحزن اذا شئت سهلا

وبعد:

وهي تقول له هذه بعض مشاركتي لكم تضحيات الطريق و آلام المسيرة و انتظرت أطول فترة خطوبة في التاريخ الحديث انتظرت عشر سنوات حتى منّ الله على كمال بالافراج من السجن وبقدر الله عزّ وجل .

لازلت أذكر تلك الايام العصيبة التي مرت على بيت الأستاذ **محمد** قطب سنة /١٩٧٣/ فقد كان يريد مغادرة مصر و اخته حميدة تزوّجت أو على أبواب الزواج وليس في البيت أجد من المحارم غير الاستاذ محمد و أمينة تعيش ظروفا نفسية تفتت الاكباد وتذيب لفائف القلوب . وسافرت مع أخيها محمد لى السعودية وعلى جبل عرفات ترتفع الدعوى من القلب الوالله الذي يحترق فيخرج كمال التسانيوي ولعله في نفس اليوم /يوم عرفة/ .

وعندما ترامى الى مسامع كمال أن في أواسط آسيا جهادا عاوده الحنين الى أيام فلسطين وبرّح به الشوق الى مداعبة الاسنة فشدّ رحاله الى أفغانستان والتقيت به في جدّة وهو ذاهب اليها فتحدثت معه وكنا على صلة وثيقة من أيام مصر فقال لي: ليست هذه الأرض بدار قرار لك احزم أمتعتك وأقبل الى أفغانستان فبدأت أهيء نفسي للحاق به وجاء الى بيشاور ومكث أربعين يوما يعمل ليل نهار لجمع كلمة المجاهدين ولم شعثهم و استطاع أن ينتزع توقيعات الاربعة من قادة الجهاد سياف وحكمت يار وربّاني ويونس خالص ،في الوقت الذي كانت فيه الدوائر الغربية الامريكية تسعى حثيثا لتلميع قيادات بديلة ،جاء بيشاور يلبس اللباس الافغاني ولم يخلع هذا اللباس حتى غادر بيشاور وفي طريق عودته الى مصر التقيت به في المسعى معتمرا فأخبرني أنه عائد الى مصر ليرتب أموره ويعود بعد أن ارتبط قلبه ببيشاور وبالجهاد ولكن يد المنون كانت بانتظاره لتقطع هذه الشجرة الطيّبة ،ولعلّ سبب قتله أنه كان يفسد على طواغيت مصر مخططاتهم الامريكية التي تريد شراء الجهاد الافغاني وتحتويه لحساب أمريكا فأجهزوا عليه في غياهب السجون على يد زبانية العذاب الجهنّمية .

لقد كان يحدّثنا عن أثر الاسلام في النفس البشرية وكيف أن الاخوان في السجون رغم مرور عشر سنوات عليهم في الستينات يقضون يومهم بالحبور وليلهم بالسرور راضين بقدر الله وكيف كان كمال يشرف على التضامن الاجتماعي الاسلامي فيما بينهم بحيث تتداول حبة الشيكولاتة سبعة نفوس كل يقدم أخاه بها ويؤثره على نفسه لا يأكلون الأسواء ولا ينفقون الأسواء حتى كأس الشاي لا يمكن أن يزيد واحد كأس شاي عن الآخر وكيف أن كبار الشيوعيين من اساتذة الجامعات الذين القي عليهم القبض بتهمة المؤامرة بالقيام بانقلاب ضد عبدالناصر، يقول هؤلاء الذين كادوا يمسكون بزمام دفة الحكم كان الواحد منهم اذا جاءته دجاجة زيارة من زوجته يضعها في داخل ثيابه ثم يأتي الى عنبر الاخوان يختفي بزاوية من زواياه ليأكل الدجاجة بعيدا عن أنظار الشيوعيين حتى لا يشاركوه مضغة أو لقمة منها .

ومضى كمال الى الله عزّ وجل وحزن المجاهدون الافغان عليه أيّما حزن و اقاموا تأبينا له في بيشاور حضره الالاف .**وانتظرنا أربع سنوات حتى الآن ونحن نترقب البديل الذي يقوم بدور كمال ولكن مكانه لازال شاغرا وبديله لازال غائبا** ولذا حقّ لنا أن نتذكر كمالا (وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر) لقد كان كمال ذا شكيمة وباع وذا عزيمة حدّاء وصريمة محكمة وهمّة شماء ومقدام على العظائم يروض الصعاب ويركب ظهور العوائق حاسر عن ساقه ومشمّر عن ساعده ونحسبه كذلك ولانزكّي على الله أحدا .فأين الرجال الذين يسدّون مسدّه ويقومون مقامه ، **انّي لأفتح عيني حين أفتحها ...على كثير ولكن لا أرى أحدا ...** وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لااله الا أنت أستغفرك و أتوب اليك *